

المؤتمر الثاني لعمداء كليات الآداب في الوطن العربي
كلية الآداب / جامعة الخرطوم

من 29 رجب الى 3 شعبان 1417 هـ
الموافق 10 ديسمبر الى 13 ديسمبر 1996 م

" خريج كلية الآداب أهو خريج للعمل أو للثقافة "

إعداد

د. صالح أبو اصبع

عميد كلية الآداب / جامعة فيدلادلفيا

عمان - الاردن

عرض في التليفزيون الاردني برنامج حوارى بعنوان " تحديات " استضاف مُقدمه وهو أستاذ جامعي، رئيس جامعة واكاديميين من مجالات مختلفة، وطلبة، وناقشوا فيه سبب التوجه نحو الكليات العلمية؟ وكان من بين ما طرح في هذا البرنامج أن التخصصات العلمية توفر فرص عمل أفضل للخريجين، بالإضافة الى نظرة المجتمع الى تخصص الفروع الادبية نظرة دونية بالنسبة للفروع العلمية، ولا شك أنه يزداد يوماً إثر يوم دور العلوم التطبيقية في حياتنا المعاصرة، وفي المقابل بات يتضاءل الاهتمام بالدراسات الانسانية والاجتماعية، وعلى الرغم من أن طبيعة الحياة لا يمكن فصلها بمثل هذه الحدية إلا أننا يمكن أن نلاحظ تأثيراتها على العملية التعليمية بشكل عام وعلى كليات الآداب بوجه خاص.

فأين تكمن المشكلة؟

لقد تميز القرن العشرون بطابعه المادي وسيطرة القيم الاقتصادية فيه، والتي عززت المسؤولية الاجتماعية للحكومة نحو رفاهية الافراد، مثل مسؤولية الدولة عن التعليم والصحة ونظام التقاعد والضمان الاجتماعي، وهذا أعطى دوراً أكبر للتكنولوجيا والعلوم في الحياة المعاصرة لانهما يحققان رفاهية الانسان ويساعدان في تحقيق حياة أفضل. وهكذا صارت المخترعات من وسائل مواصلات واتصالات ومعدات طبية وكهربائية والكترونية .. الخ لها السيادة في المجتمع وساهمت في النمو الاقتصادي وكانت جزءاً أساسياً منه. وشهد هذا القرن حروباً كبرى استخدمت فيها التقنيات التي دمرت المدن وأفنت الملايين، وأكدت سطوة التكنولوجيا والعلم ودوره في صناعة عالم القوة والسيطرة .

وكذلك أكدت المخترعات والاكتشافات العلمية في مجال الطب قدرة العلم على السيطرة على أمراض وأوبئة لم يكن في السابق إمكان علاجها. كل هذا جعل السطوة للعلوم التطبيقية باعتبارها مركز الاهتمام والتقدير وتوارى الاهتمام بالعلوم الانسانية

والاجتماعية على الرغم من أن التقدم في المجال التكنولوجي لا يمكن عزله عن فكر الانسان وثقافته التي تقود التقنية كما يرى فيكتور فركس:

" ان المجتمعات الانسانية قاطبة ، باقتصادها وبنيتها السياسي، وثقافتها، تعتمد على أسسها التقنية . والتعديل في الافكار قد يعدل في التقنيات، مثلما تجعلنا التبدلات التقنية نعدل في أفكارنا . بيد أن للتقنية ميزة ضئيلة ، فلسنا قادرين على تنفيذ كل ما نفكر في تنفيذه، مع أننا أخذنا نقتنع بسرعة ان كل ما يصوره لنا الخيال قابل للتحقيق في المستقبل القريب.....

..... فانه على مدى التاريخ الانساني المنتهي الى عصر التبدل هذا، كانت التقنية عاملا ضروريا ان لم يكن عاملا وافيا بحد ذاته، لنهوض الحضارات وسقوطها. التقنية توضح الكثير من خبايا الحضارات ولكنها لا تقررها تماما، أو تعمل في عزلة عن رأي الانسان واختياره. وطبيعة هذه الصلة بين التقنية والثقافة توضح بجلاء وجوه الخلاف بين علماء الاجتماع على أهمية التقنية بالقياس الى العوامل الاخرى " (1)

ولكن لا يمكن للبشرية أن تضع في اعتبارها أن العلم وحده هو القادر على حل مشكلات البشرية ، إن الاحساس والخوف من سيطرة العلم يتمثل في الاقتباس التالي من كتاب تاريخ البشرية الذي أصدرته اليونسكو:

" ولكن الايمان بالقوة المسيطرة للعلم وحده كان يشوبه بعض الشكوك والمخاوف. فالإيمان الاوروبي البسيط في القرن التاسع عشر بأن العلم سيؤدي أوتوماتيكيا الى تقدم البشر قد زعزعت استخدامات العلم للتدمير خلال هذه السنوات، وما كان من فشل البشر في انشاء المنظمات الاجتماعية والسياسية التي استهدفت قصر استخدام العلم على الاغراض النافعة. بل أن الاستخدام السلمي للعلم في وسائل النقل والمواصلات ونتاج الغذاء واطالة العمر قد بدا لبعض الناس انه يجلب من المشاكل قدر ما يحل منها . فبينما العلم قد لقي ترحيبا متزايد المدى على اعتبار أنه يقدم حولا لبعض مشاكل الانسان واحتياجاته فان سيادته وسيطرته قد صارت ماثرا للشكوك والريب عند بعض الناس ممن كانوا يؤمنون به في المراحل الاولى من تطبيقه." (2)

إن هذا الشك والخوف من سطوة العلم له ما يبرره، ذلك أن طبيعة الانسان ليست مادة فحسب، وطبيعة حياته هي أنشطة مختلفة متكاملة وعلى الرغم من تمايز العلوم فان ذلك لا يعني انفصالها عن بعضها البعض وكما يرى أ.س بوشمن في مقالته المهمة حول " علم الادب في علاقته بالعلوم الاخرى " فإن :

" أي علم مشخص لا يتغير بتغيير موضوعه وتعمده وحسب، بل بقوة تطوره الداخلي الخاص، فهو مرتبط بقدر أو بآخر بالوضع القائم في العلوم الاخرى يتأثر بها ويؤثر فيها بدوره. إن تبادل الافكار والطرائق بين العلوم قائم باستمرار.

إن التمايز المتزايد عمقا بين فروع المعرفة العلمية، وبالتالي نشوء علوم جديدة باستمرار، حقيقة من حقائق عصرنا، ينشأ عنها تمايز داخل العلم الواحد وبالتالي تعقيد في بنية العلم . ومن هنا تزداد الحاجة إلى تأليف بين العلوم وداخل العم الواحد، إلى تكامل المعرفة العلمية تكاملا يقضي على النتائج السلبية التي خلفها التخصص الضيق وتجزؤ العمل العلمي.

لكن الامر لا ينتهي عند تجاوز هذه النتائج السلبية. فالتمايز المطرد في أبواب المعرفة يوفر مقدمات أفضل لتكامل أفضل وأكثر عضوية وتماسكا. إن الحدود الواضحة بين العلوم تمحي وتصبح أدق وأمرن . وبقدر ما تزداد الاجزاء ضمن الكل الواحد تفككا، يزداد التصاق أحدها بالآخر. " (3)

ان اللغة أساس حياة الانسان وهي عصب أنشطته المختلفة بما فيها العلم نفسه. وان نهم الطبيعة البشرية والسلوك الانساني، وفهم طرق التفكير واستيعاب التجارب البشرية على مدى العصور، جميعها تسهم اسهاما فعلا في سيطرة في فاعله في إطار مجتمعه المحلي او الانساني بشكل عام.

ولذا فان النظرة الموضوعية إلى التعليم في كليات الآداب لا يمكنها إغفال التوازن المطلوب في الدراسات الانسانية والاجتماعية إن هذا التوازن ضروري لبقاء المجتمعات وتقدمها إن هذا التوازن ضروري لبقاء المجتمعات وتقدمها وكليا الآداب بعلمها الانسانية والاجتماعية، لا تقدم خدمة للأفراد الذين تعمل على بناء شخصياتهم فحسب، بل تقدم

خدمة للمجتمع ، لان المدارس هي أساس لبناء روح المواطنة والانتماء لدى الافراد، ولا شك في أن كليات الآداب تستطيع أن تنمي شخصية الفرد بناء على قدراته العقلية واحتياجاته وبحيث يمكننا القول بأن من مهام كليات الآداب تكوين أفراد مثقفين لديهم المهارات الاساسية في الكتابة والقراءة والالمام بالتخصص وحساب وكذلك لديهم الافكار والمهارات القادرة على صنع قيادة المجتمع وتولي مسئوليات الادارة والحكم .
ان خريجي كليات الآداب غالبا ما يقودون مجتمعاتهم وهم الذين يوجهون هذه المجتمعات فكريا ويصوغون قيمها وأفكارها ويغيرون من وجدانها.

ولهذا فإن النظر الى خريج كليات الآداب يستدعي نظرة جادة الى مدخلات العملية التعليمية في كلية الآداب وخصوصا الطالب الذي سيصبح خريجا، فهل نحن نهدف إلى خريج لملء شواغر وظائف أو هل مهمة الجامعة أن تعده مثقفا يحقق إشباعا ذاتية؟ أو أننا ندرك بأننا نعد في كليات الآداب قادة المجتمع الفكرية والسياسية والاجتماعية وبناء شخصية الطالب وتعليمه وتدريبه نظرة متكاملة اذ نرى بأن على كل كلية أن تعد الطالب إعدادا علميا وثقافيا يبنى شخصية متكاملة لفرد قادرة على تحقيق الذات وخدمة المجتمع في أي موقع تكون فيه متسقا مع طبيعة تخصصه.

فالذي يدرس اللغة العربية مثلا -يستطيع أن يكون ثقافة عامة تنمي شخصيته ولكنه في الوقت ذاته يكون قادرا على استخدام مهاراته في اللغة العربية وآدابها في مهن متصلة بها مثل التدريس والصحافة أو الابداع.

ولكن هذا التساؤل يظل قائما: لماذا نلحظ الشكوى الدائمة من مستوى خريجي كليات الآداب في الوطن العربي؟
قبل الاجابة على هذا السؤال فإنه لا بد من التعرض لمدخلات العملية التعليمية من مناهج وأساتذة وطلاب وكتب ومن خلالها يمكننا الوصول الى تشخيص للواقع، الذي سيقودنا إلى تساؤل آخر يحتاج إلى إجابة وهو: هل هناك أزمة لتوظيف خريجي كليات الآداب؟

2- كليات الآداب هل تعاني من أزمة تكوين؟

لا يمكن للمرء وهو يناقش كليات الآداب في الوطن العربي أن يتجاهل عناصر التكوين الأساسية في هذه الكليات. وعناصر التكوين هذه تتمثل في مجموعة من الامور وهي المناهج والأساتذة والطلاب والكتاب والإمكانيات التدريبية. ولا شك أن أية مؤسسة تعليمية تقوم بناء على فلسفة أساسها إدراك أهمية دورها في المجتمع والحاجة الماسة إلى خريجينا. ولذا فمن المتوقع أن يكون هدف هذه المؤسسات تخريج كوادر قادرة على العمل في مواقعها المتخصصة بكفاءة واقتدار ولكن لماذا تعاني المجتمعات العربية من استيعاب خريجي كلية الآداب؟ وتعاني من نظرة المجتمعات إليها. إن أول الأمور التي يجب بحثها هو إلى أي مدى يمكن لعناصر تكوين خريج الآداب أن تؤهله لاقتحام مجال الحياة بثقة وكفاءة تجذب مؤسسات التشغيل لاستخدامه فيها؟

1-1 الطالب

تكاد كليات الآداب تلتقي في تخصصاتها المختلفة في الإطار العام للمناهج وتفصيلاتها إلى حد ما-وان اختلفت المصطلحات -فالمواد التي يتم تدريسها تنقسم إلى مجموعات عدة:

- أ - مواد عامة تهدف إلى التكوين الثقافي العام من لغة / وسياسة / واقتصاد / وتاريخ .
- ب - مواد نظرية في مجال التخصص.
- ج - مواد تطبيقية مثل المواد المحتاجة إلى تدريبات كاللغات.
- د - مواد عملية مثل الإخراج الصحفي أو الإخراج الإذاعي / فن الإلقاء والتدريب العملي للإذاعة والتلفزيون / والتصوير الصحفي والتصوير التلفزيوني (بالنسبة لكليات الآداب التي تضم أقسام الإعلام).

وإن استعراضا للمواد التي يدرسها الطلبة في كليات الآداب وأقسامها المختلفة سيعطي أي مقيم لها انطبعا بأنها غير كافية لأن تخرج لنا طلبة مسلحين بأسس نظرية تعد الطالب إعدادا جيدا.

ولكن مشكلة التكوين تحتاج إلى رصد باقي عناصرها.

2-2 الأساتذة:

مع التوسع الكبير في مجال التعليم الجامعي، وانشاء العديد من الجامعات في الوطن العربي لا بد من الاعتراف بأن هناك نقصا شديدا في مجال الأساتذة المؤهلين لتدريس التخصصات المطلوبة ولذلك لجأت الكليات إلى الاستعانة بأساتذة من جامعات أخرى يدرسون دروسا إضافية أو يدرسون في مجالات لا تدخل في إطار تخصصهم الدقيق .

ونتيجة لذلك أدى النقص في أعضاء هيئة التدريس إلى قصور في تكوين تحصيل الطلبة ، وقد لجأت بعض الجامعات العربية إلى محاولة تجاوز العجز من خلال فتح باب الدراسات العليا للحصول على الماجستير والدكتوراه على مصراعيه بأسلوب الانتظام والانتساب ، وقد أدى ذلك إلى تساهل في منح درجة الدكتوراه . ولا يخفى ما لهذا من أثر يتعدى حدود البلد المانحة للشهادة. إذ أن هؤلاء الخريجين يعملون في مختلف الجامعات العربية، إما بكونهم مواطنين عادوا إلى بلدانهم، أو بكونهم أساتذة معارين أو متعاقدين.

ومعالجة مشكلة النقص في أعضاء هيئة التدريس كما حاولت أن تفعله الجامعات العربية كان يمكن أن يتم بأسلوب أكثر فاعلية، لو أنها قامت بالاستفادة من كوادر المؤسسات غير التعليمية المؤهلين أكاديميا شريطة العناية بإعداد تلك الكوادر إعدادا يمكنهم من القيام بالعبء التدريسي وذلك من خلال دورات تدريبية مركزة لهم قبل بدئهم في العمل التدريسي ، وذلك إلى حين أن يتم إعداد كوادر علمية مؤهلة .

3-2 المناهج :

الطالب هو الأساس في العملية التعليمية وهو المستهدف منها، وفي مجال الدراسات الإنسانية يتوقع الأستاذ أن يكون تلميذه يدرس مجالاً له اهتمام خاص به، ويجب أن تكون لديه المقدرة على التعبير بلغة عربية سليمة، ويجب أن يكون واسع الأفق ذا ثقافة عريضة. وعلى الرغم من أن كثيراً من كليات الآداب تجري مسابقات لدخول بعض التخصصات مثل اللغة الإنجليزية واللغة العربية، إلا أننا نجد أن مستوى الطلاب كثيراً ما يخيب الآمال سواء كانت آمال أساتذتهم أو مؤسسات التشغيل، ولا يستطيع الأساتذة أثناء تدريسهم مواد محدودة، أن يجعلوا من كل طلبتهم متخصصين، فالطلاب يصلون إلى مقاعد الدراسة الجامعية من مدارسهم وهم يفتقرون إلى مهارات القراءة والاستماع والتحدث، ويأتون وعلى كاهلهم عبء الخوف من التعبير عن الرأي والروح الفردية في العمل.

ولا يغرب من بالنا بأن مدخلات كليات الآداب من الطلبة تتمثل أساساً بقبولها أضعف الطلبة من حيث معدلاتهم في الثانوية العامة، والكثير منهم يلتحقون بكلياتهم اضطراراً لأنهم ليس لهم بديل آخر.

وحيثما يتخرج الطلاب من تخصصاتهم المختلفة تعوزهم المهارات المطلوبة في تخصصاتهم، وسعة الأفق وعمق المعلومات في التخصص ويرجع ذلك إلى عدة أسباب:

- 1- أسلوب التلقين في العملية التدريسية التي لا تتيح لهم المشاركة والتفاعل في قاعات الدرس.
- 2- عدم تدريب الطلاب على البحث واعداد الأوراق البحثية في مجالات تخصصهم.
- 3- الاكتفاء بكتاب واحد مقرر للمادة وأحياناً يعفى الطالب من نصفها عند الامتحانات.
- 4- عدم توجيه الطلبة نحو المكتبة واستخدام الدوريات المتخصصة.
- 5- تساهل الأساتذة في نوعية الأسئلة وفي منح الدرجات للطلاب سواء كان ذلك في معدلات الطلبة المتفوقين أو تنجيحهم.

4-2 الكتاب

من المشكلات الرئيسية التي تواجه الطلبة وأعضاء هيئة التدريس توفر الكتاب المناسب في مختلف التخصصات سواء كانت الكتب المنهجية أو المرجعية. إن قلة الكتب المنهجية في بعض التخصصات تقف حائلاً أمام الطالب في تحصيله الدراسي، مما يجعل الاساتذة يلجأون لتغطية العجز بإعداد مذكرات أو الاملاء على الطلاب، وكلا الاسلوبين لا يحققان الهدف التعليمي والتربوي المطلوب، ولا يوفران للطالب مجالاً رحباً من المعرفة ويكفي أن نشير إلى أن بعض الاساتذة يقومون خلال عام كامل بتدريس الطلبة ما لا يزيد على ثلاثين صفحة يملونها عليهم أو يطبعونها كمذكرات. ومن خلال تجربة شخصية في مرحلة الدراسات العليا فاني ما زلت أذكر أن مجموع الصفحات التي امتحنا بها في احدى المواد لم يصل إلى أربعين صفحة ... ولنتخيل دراسة موضوع متخصص في أربعين صفحة فأى معلومات تلك التي يحصل عليها الطالب لتغطي مقرراً كاملاً.

وهناك مشكلة أخرى في بعض الكتب الموجودة في الوطن العربي أذ أن بعضها ترجمات حرفية لما هو في الغرب دون ابداء الرأي والتزام الامانة العلمية في النقل. والبعض الآخر ترجمات بدون أمانة علمية، ولعلنا تابعنا مسلسلات السرقات العلمية على المستوى الأكاديمي. وهناك بعض الكتب القيمة التي لا ينكر فضلها ولكنها محدودة. وفي معظم التخصصات الانسانية فان المكتبة العربية ما زالت فقيرة فقرا لا يدانيه فيه أي تخصص آخر.

5-2 الامكانيات التدريبية والعملية

تحتاج كليات الآداب وخاصة أقسام اللغات والاعلام الى وسائل تعليمية أساسية للتدريب مثل مختبرات اللغات والحاسوب وأجهزة العرض المرئي مثل الفيديو وأجهزة عرض الشرائح والمصورات، وأجهزة الاستماع والتسجيل وتعاني الكثير من أقسام الاعلام في كليات الآداب من فقر شديد في امكانيات التدريب من مختبرات للتصوير، واستديو

هات للإذاعة والتلفزيون، والصحف الخاصة بها للتدريب. ونجد أن معظم الاقسام الاعلامية لديها بعض المختبرات والاستديوهات الخاصة بها وغير الكافية لتحقيق التدريب الملائم لإعداد الطلبة، وبما يحقق لهم فرصة الممارسة الحقيقية في مجال العمل الاعلامي عن العجز الشديد في الكفاءات البشرية القادرة على القيام بمهمة التدريب فليس يكفي ان يكون الشخص فنيا ليقوم بمهمة التدريب، اذ لا بد وأن يكون ذا مقدرة على توصيل المعلومات الى الطلاب. ولا شك أن مثل هذا العجز كان يمكن أن يغطى لو كانت الصلة بين المؤسسات الاعلامية ومؤسسات التعليم والتدريب الاعلامية هي صلة تكاملية.

وأما أقسام كليات الآداب الاخرى مثل أقسام اللغات والتاريخ والآثار وغيرها، فأنها تفتقر في الامكانيات الضرورية لها مثل مختبرات اللغات، وما يلزمها من أجهزة وأشرطة، وامكانيات القيام بدورات للغة في بلدان اللغة الأصلية. أو القيام برحلات ومعسكرات. هذه الصورة التي طرحتها... تؤكد بأن هناك أزمة في تكوين خريج كلية الآداب مما يؤدي الى عزوف عن توظيفه ولكن واقع الامر أن هذا وجه لعملة واحدة والوجه الآخر للعملة هو أزمة المجتمع بكامله.

3- كليات الآداب هل تعاني من أزمة في توظيف خريجينا؟

لا تقل نسبة طلبة المدارس في الوطن العربي عن 1/3 اجمالي عدد السكان، ويظهر لنا جليا من النمو الهائل في عدد المدارس وعدد التلاميذ في الوطن العربي، أن أعداد الخريجين من كليات الآداب يمكن استيعابهم في مهنة التعليم بالإضافة الى المؤسسات الاعلامية والحكومية والمؤسسات الاجتماعية وغيرها.

ويظهر في أحوال عديدة بأن الخريجين في هذه الايام هم أنصاف متعلمين، يخطئون حتى في ملء طلب توظيف. ويقع عبء مسؤولية هذا المستوى على كليات الآداب التي تخرج طلابها.

ويلعب العامل السياسي أحيانا دوره في التأثير على المستوى الاكاديمي والذي يقرر نسب النجاح، وأسلوب الترفيع التلقائي في المدارس ونسبة النجاح في الثانوية العامة مما يقود الى نجاح الطلبة ذوي تحصيل ضعيف للغاية ، ينتقلون الى الجامعة وينجحون ويتخرجون منها وهم لم يحصلوا من العلم إلا أقله وثقافتهم سطحية ، ويمكننا القول بأن ظروف التنمية في المجتمعات العربية ونظام التعليم الالزامي بها يوفران ظروف عمل لخريجي الآداب، ولكن هذا الخريج يعوزه العمق ورحابة الافق واتساع الثقافة نتيجة أسلوب تدريسية من ناحية، ونتيجة عزوفه عن الكتاب وخصوصا الكتب غير المقررة عليه من ناحية أخرى.

-4 الخاتمة

من خلال عرضنا السابق يتضح لنا أن مدخلات العملية التعليمية في كليات الآداب تحتاج إلى عناية خاصة بحيث تستطيع أن تمنح مجتمعها خريجين أكفاء. فنحن ندرك بأن تصويب الاعراض السلبية في العملية التعليمية يحتاج إلى رؤية متكاملة بحيث:

- 1- أن يتم انتقاء أعضاء أكفاء لهيئة التدريس واعدادهم ومتابعة أدائهم التعليمي والبحثي بما يضمن تطورهم .
- 2- استقطاب طلبة أذكياء متفوقين ليتخصصوا في المجالات المختلفة لانهم سوف يقومون بقيادة المجتمع مستقبلا.
- 3- ان يتم الاستفادة من تقنيات الاتصال والمعلومات في العمليات التدريسية وذلك باستخدام الوسائل التعليمية والكمبيوتر وغيرها..
- 4- ان يتم اعداد البرامج التدريسية بناء على حاجات المجتمع.
- 5- تأمين الكتب والمراجع الحديثة في المكتبة .
- 6- اعداد كتب مرجعية للمواد يشارك فيها أكثر من أستاذ وأكثر من جامعة بحيث تكون كتبا أساسية للمقررات أو مساندة لها.
- 7- تدريب الطلبة المستمر على كتابة التقارير والبحوث وبحيث تكون نشاطا أساسيا لمساقاتهم

- 8- توفير مناخ الحوار في المحاضرات وتدريب الطلاب على المناقشة وعرض الآراء.
- 9- اعداد امتحانات مستوى للقبول في اللغتين العربية والانجليزية .

المراجع

- 1- فركس ، فكتور (الانسان التقني) تعريب إميل خليل بيدس ، (منشورات دار الآفاق الجديدة - بيروت).
- 2- اللجنة الدولية بإشراف منظمة اليونسكو (تاريخ البشرية) الترجمة والمراجعة : عثمان نويه ، د. راشد البراوي ، محمد علي أبو درة (الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر 1971)
- 3- فريق من الباحثين السوفييت (الادب والعلوم الانسانية) ترجمة : يوسف حلاق (وزارة الثقافة ، دمشق 1986)